الاستغلال الذي تعرضت له القارة

١ ـ الاستغلال الاستعماري الاوربي:

تعرضت قارة امريكا اللاتينية الى عملية استغلال واسعة مارسها المستعمرون الاسبان والبرتغاليون. على حساب سكان القارة الاصليون من الهنود ،وغيرهم من الافارقة الذين لجأو الى استيرادهم من أفريقيا والاستعانة بهم في استغلال واستثمار موارد الثروة فيها وكانت التنظيمات السياسية ومظاهر الاستغلال في القطاع الزراعي(النباتي والحيواني) وفي استغلال موارد الثروة المعدنية ووسائل المواصلات التي وضعت في خدمة ذلك، كله جزء من ظاهرة الاستغلال العامة التي مورست خلال القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر . فقد اخذت اسبانيا (بعد ان ضمت البرتغال اليها عام ١٥٨٠ في عهد الملك الاسباني «فيليب الثاني» الى عام ١٦٤٠ حيث انفصلت البرتغال عنها مرة اخرى) ترسل الاسبان الى المستعمرات في امريكا اللاتينية لتولي المناصب الادارية الكبيرة واستغلال ثروات المنطقة واحتكار تجارتها ، اذ حرمت على سكان البلاد حرية التجارة مع البلدان الاخرى وخاصة بقية الدول الأوربية. وقد اندفع البرتغاليون والاسبان وراء الكسب السريع في الحصول على الذهب والمعادن النفيسة الذي شغل كل تفكيرهم ونشاطهم ، حيث لم تكن لديهم في البداية رغبة ملحة في الاستقرار او التوطن والتعمير المنظم مما ابعدهم عن استغلال الموارد الطبيعية الأخرى،ولكن مع مرور الوقت وبدفع من الحكومة الاسبانية بدأ المهاجرون الاسبان يستقرون في مناطق امريكا اللاتينية وفرضوا انفسهم سادة على سكانها الاصليين من الهنود فقد قامت الحكومة الاسبانية والكنيسة بتهيئة السبل الكفيلة

لاستقرار الاسبان في هذه القارة ، وسن الانظمة والقوانين والتشريعات التي تكفل استمرار نفوذهم وهمينتهم واستغلالهم لثروات البلاد وسكانها، فقد أحتكروا المناصب المهمة والوظائف العامة واستحوذوا على الارض، حيث كان نائب الملك يعطي مساحات واسعة من الارض للمستوطنين الاسبان والبرتغاليين الذين اخذوا يستخدمون الهنود في زراعة الارض بشروط مجحفة وقاسية ويستخدمونهم ايضاً في خدمة بيوتهم،وازاء رفض غالبية الهنود لهذا النمط من الاستغلال تعرضوا لحملات القتل والتعذيب والتشريد، مما أدى الى تناقص اعدادهم بشكل كبير .وحمل المستوطنين الا وربيين الى جلب الأفارقة ليعملوا في المزارع والمناجم والمصانع التي انشؤوها كما اسلفنا .

وقد حاولت الكنيسة في بعض مناطق القارة ان يجبروا الهنود على اعتناق الديانة المسيحية لانشاء علاقات طيبة بين الجنسين الهندي والاوربي ،وعملت بالفعل لتحقيق هذا الأمر كما هو الحال في تشيلي ،ولكن يبدو ان هذا الامر لم يترك لرجال الدين بل مارسه العسكريون الاسبان وكانت طريقتهم في دعوة الهنود الى المسيحية هي أن يجمعوا اعداداً منهم في مكان عام ويقف احد قادتهم ليعلن« اعلموا ان كل من لايعتنق المسيحية ابتداءاً من الان وحتى الساعة الثانية بعد الظهر غداً يقتل ...» .

وفي البرازيل ادت الصلاحيات المطلقة التي منحت لحكامه من قبل الملك البرتغالي الى معاملة السكان بقساوة بالغة، وقمعت معارضتهم للحكم المطلق بالقتل والسجن وتعددت المجازر التي ذهب ضحيتها الالاف من المواطنين الهنود، وانشأت مدن جديدة من قبل المستوطنين البرتغاليين الذين أخذوا يتوافدون بكثرة الى البرازيل .وكان أغلبهم من المنفيين الذين كانت حكومة البرتغال تتخلص منهم بهذه الطريقة . وفي عام ١٥٤٩، بعث ملك البرتغال بحاكم عام الى البرازيل بهدف جعل البلاد وحدة ادارية تكون خاضعة له بصورة افضل من السابق،ورافقت الحاكم العام بعثات دينية لنشر الدين المسيحي بين الهنود الحمر ، كما فعل الاسبان في كثير من مناطق امريكا اللاتينية ، كما جاء معه مرافقون كثيرون بهدف مساعدته في تثبيت السلطة المركزية التي اراد الملك البرتغالي تحقيقها في البرازيل . وقد اتبع الملك البرتغالي اسلوب النظام الاقطاعي لتثبيت ملكية البرازيل بكل مقوماته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وتحول ابناء البرازيل الاصليون من الهنود الحمر والنسل الجديد المختلط الذي ظهر بعد التمازج والمصاهرة الاجتماعية الذي كان محتماً بين المستوطنين البرتغاليين والهنود الحمر إلى عبيد في ارض السيد المطلق دون ان

يتمتعوا باية حقوق . وانقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات . الاولى تضم السادة المالكين للاقطاعيات الكبرى والعبيد الذين يعملون في الارض عند السيد المالك . والطبقة الوسطى في المدن من حرفيين وتجار وباعة وغيرهم .. ونتيجة المجازر الجماعية التي ارتكبهـا البرتغاليون ضد الهنود الحمر ، اضافة إلى سعة الاقطاعيات التي منحت إلى كل واحد من رجالات البلاط الذين بعث بهم ملك البرتغال كما اشرنا ، اوجدت نقصاً كبيراً في اليـد العاملة اللازمة لاستغلال هذه الاراضي الشاسعة ، وقد دفعت هذه الحاجة بالاقطاعيين البرتغاليين إلى دخول تجارة الرقيق بصورة نشيطة . فقد بدأت السفن البرتغالية ترد الى الموانيء البرازيلية محملة بالافريقيين وبخاصة من المستعمرات البرتغالية في افريقيا ، في انغولا وموزمبيق .

ولقد تركز المستوطنون البرتغاليون وقتاً طويلاً في المناطق الساحلية اي في الاجزاء الشمالية الشرقية من البلاد ، حيث الانهار الكبيرة والاراضي الخصبة الملائمة لزراعة قصب السكر الذي اصبح مادة مهمة في التجارة ، اذ كان يصدر إلى اوربا جالباً الارباح الكبيرة التي جعلته المادة الثانية بعد الاصباغ ،وفي وقت لاحق انصرف اصحاب المزارع إلى زراعة النيغ والكاكاو والقطن ولكن بكميات اقل .. لكن البرتغاليون اهملوا البرازيل اهمالاً شبه تام في فترة خضوعهم للهيمنة الاسبانية كما ذكرنا عام ١٥٨٠ ، وفي فترة الحرب التي نشبت بين البرتغاليين والاسبان في الفترة ما بين عامي ١٦٤٠– ١٦٨٨ . ولم يستعد البرتغاليون سيطرتهم على البرازيل ثانية الا بعد انتهاء الحرب التي انتهت بانفصالهم عن اسبانيا وعودة بلادهم مستقلة ثانية . وقد ارسل الملك البرتغالي مبعوثاً عنه للاشراف على مناجم الذهب والماس في البرازيل التي تم اكتشافها عام ١٧٠٠ ، واخذ يشحن انتاجها إلى العاصمة البرتغالية «لشبونة» من «ريودوجانيرو» التي اصبحت عاصمة البرازيل عام ١٧٦٣ .

وقد استأثر البرتغاليون القادمون من البرتغال بجميع المناصب الادارية المهمة التي حرم من تسنمها حتى البرتغاليون الذين ولدوا في البرازيل من ابوين برتغاليين ،وجعل النظام الاقطاعي الذي ساد البرازيل فترة طويلة تعيش ضمن اقتصاد زراعي متخلف ، حيث لم تقم في البلاد اية مؤسسات صناعية او معامل عدا ما يخص صناعة السكر ، ولم تتطور المدن البرازيلية ، ولم تقم فيها جامعة واحدة حتى عام ١٩٢٠ ، عكس ما شهدته المناطق

الأخرى في امريكا اللاتينية التي كانت خاضعة للنفوذ الاستعماري الاسباني التي شهدت تقدماً وتطوراً في نواحي عديدة .

ومع كل هذه الاجراءات وغيرها ، كانت سلطة الحكومة البرتغالية المركزية ضعيفة في البرازيل ، ولا شك في ان هذا الضعف كان سبباً رئيسياً في عدم قيام حرب استقلالية في البرازيل بالصورة والكيفية على غرار ما حدث في باقي اقطار امريكا اللاتينية التي كانت خاضعة للنفوذ الاستعماري الاسباني كما سنرى .